الوفاق بين الايمان والعقل

لحضرة الاب خليل اده اليسوعي

كثر على السنة بعض المعترضين قولهم انَّ الايمان المسيحي يناقض مبادئ العقل الصحيحة حتى صار هذا الزعم عندهم بمنزلة الاوليَّات التي لا يجوز انكارها . ولكنهم على الغالب لا يفهمون معنى الايمان عندنا فينسبوننا الى ما نحن منهُ براء . وقد كان يجدر بهم ان يطَّلعوا اوَّلًا على حقيقة تعاليمنا ولا يحكموا علينا مجازفةً . تلك خطَّة عدل لا يجوز الحياد عنها غير انها تقتضي ممن يتَّبعها بعض الرويَّة . ومن الغرائب انَّ الاكثرين ممَّن ينادون بمنافاة الايمان للعقل لا يعرفون سبب هذا التناقض . فاذا سألتهم لم يجيبوك الَّا انهم كذا سمعوا او كذا قرأوا في آخر فكاهة نشرتها مجلَّتهم او جريدتهم فتراهم يؤمنون باقوال اي كاتب كان ثم يندِّدون بنا لاننا نؤمن باقوال الله مع كون ايماننا مبني على اساس متين

ولكن هذا الجواب لا يكفينا بل علينا ان نبيِّن بيانًا شافيًا انَّ الايمان لا ينافي مقتضيات العقل الصحيح وان ليس للمناقضة بين الايمان والعقل سبيل

وقبل الخوض في البحث يجب التنبيه الى امر قلَّما يلتفت اليهِ اخصامنا فيخلطون بين المسائل خلطًا مفرطًا فانَّ للزعم بانَّ الايمان يناقض العقل معاني شتَّى يختلف الردّ عليها باختلافها

فاعلم اذًا ان لفظة « الايمان » عندنا تدلُّ اوَّلًا على المعتقدات نفسها اي القضايا التي نعتقدها كما في قولنا عن قانون الرسل انهُ « صورة ايماننا » وكقولنا « هذا ايمان الكنيسة » اي معتقدها

وتطلق ثانيًا لفظة الايمان على الفعل الصادر عن النفس او الحدث الذي وضعت لهُ في اللغة صيغة المصدر فان « الايمان » مصدر آمنَ وهذا هو الاصل كذلك انَّ فعل الايمان مفروض على كل مسيحي . واماَّ الفرق بين هذا المعنى والمعنى السابق فظاهر لانَّ مدلول الاوَّل قضيَّة موجودة قبلنا وستبقى بعدنا تسطَّر في الكتب وتتداولها الالسنة . واماَّ مدلول الثاني فهو فعل لا قوام لهُ في ذاتهِ وانَّما يكون في المؤمن ولا يوجد بدونهِ

فهو كحركة في النفس زائلة تؤثر فيها تأثيراً عرضياً لا يلبث ان يضمحل كما تضمحل تجمدات المياه بعد هبوب النسيم على صفحاتها . هذا في اختلاف المعنيين . على انَّ بينهما رابطاً كما لا يخفاك وهو سبب تسميتهما بلفظة واحدة وذلك لانَّ الايمان بحيث هو فعل او حدث لا يتمّ الَّا اذا وجدت قضيَّة تكون لهُ موضوعاً كما انَّ نطق الناقل لا يتمّ الَّا بوجود منطوق وهو الكلام

واخيراً تطلق لفظة « الايمان » على الملكة او العادة التي تساعد النفس على اصدار افعال الايمان ونسبة هذا المعنى الى الثاني كنسبة الفاعل الى فعلهِ والمحرّك الى حركتهِ وهذا الاختلاف في المعاني مع وحدة اللفظ لا يختصُّ بالايمان وحده ولكنهُ شائع بين الفضائل والرذائل كلها . فالعلم مثلاً يدلُّ على الحقائق التي هي موضوع معارفنا كما في قولك علم الحساب وعلم الفلسفة الخ . ويفيد ثانياً معنى الحدث الدالّ عليه مصدر عَلِمَ كما في قولك علمتُ علماً . ويطلق اخيراً على ملكة العلم كما في قولك عن فلان انهُ راسخ القدم في العلم

فاذا فهمت ذلك ادركت بسهلاً حدّ موضوع بحثنا . ليس قصدنا هنا الايمان بمعنى الملكة اذ لا دخل لهُ في المسألة وعلى كل حال فالقول فيهِ تابع للقول في فعل الايمان . فان كان فعل الايمان فعلاً صالحاً كانت ملكة الايمان ملكةً صالحة اي فضيلةً وبالتالي مطابقة كل المطابقة لما يقتضيهِ العقل السليم . وان كان فعل الايمان ذميماً لا ينطبق على اصول العقل كما يزعم المعترض كانت ملكة الايمان المسيحي خبيثة وبالتابع مغايرة للعقل

فبقي اذاً ان ننظر في المعنيين الاوَّلين . فاذا اعتبرنا الاوَّل كان تحرير زعم الناكرين هكذا: انَّ قضايا الايمان تناقض قضايا العلوم الراهنة الثابتة . واما باعتبار المعنى الثاني فتكون خلاصة اعتراضهم ان فعل الايمان يأباهُ العقل لانهُ ينفي مقتضياتهِ الطبيعيَّة فهو فعلُ جاهلٍ لا فعلُ حكيم متبصر في الامور

لمَّا الردّ على الزعم الاوَّل مفضَّلاً فانهُ مستحيل لانهُ يستغرق لا المقالة او المقالات بل المؤلفات اذ انهُ يستوجب المقابلة بين كل قضيَّة من القضايا التي نؤمن بها والقضايا التي تثبتها العلوم لتبيّن انهُ ليس من مناقضة بين اقوال الايمان الصحيح والعلم الصادق وهو مع ذلك قليل الفائدة للصوم ولكني اكتفي بان ادعو ايَّاً كان من اخصامنا ان يبرز ويبيّن قضيَّة من قضايا ايماننا تكون حقيقة لا ريب فيها البتَّة وهي تناقض قضيَّة راهنة

ثابتة من قضايا العلوم . ولكن عليه ان يتبصَّر في قضايا ايماننا لئلا ينظم في سلكها ما هو خارج عنها وينظر الى ما يثبتهُ العلماء اثباتاً يقينياً ولا يسمي حقائق علميَّة ثابتة مزاعمَ من لم يتكلف الاطلاع على تعليم الكنيسة كما نراه في عدَّة كتب او مجلات ولا يزعم ان ما يفوق العقل مضادٌّ لهُ . أدعوه ولا اخشى خذلاناً ولا اريد الآن برهاناً على متانة الاساس القائمة عليه حقائق ايماننا سوى مواصلة اعدائهِ منذ تسعة عشر جيلاً لمناقضتهِ بكل الوسائل الممكنة وهم مع ذلك لا يستطيعون ان يزعزعوا حجراً منهُ . هذا دأبهم مع ديانتنا المسيحيَّة التي لا تزال ثابتة يصدق فيها ابداً قولهُ تعالى: « وابواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦: ١٨)

فموضوع بحثنا اذاً محصور في هذا السؤال: اصحيح زعم القائل ان فعل الايمان كما تفرضهُ الكنيسة على ابنائها هو بمجرَّد ذاتهِ مخالف لما يقتضيهِ العقل السليم ؟ امَّا الجواب فسيتَّضح لكل من يتبصر بعين مترَّهة عن الغرضيَّة في تعاليم الكنيسة فمجرَّد بسطها كافٍ حتى يتأكد انَّ زعم المعترضين لا سند لهُ

*

اعلم انَّ من الاصول التي نرجع اليهِ نحن الكاثوليك في البحث عن عقائدنا تحديدات المجامع المسكونيَّة وانَّ المجمع الاخير منها وهو الواتيكاني الملتئم في رومية سنة ١٨٧٠ قد كشف النقاب عن ماهية الايمان المسيحي وعرَّفها وحدَّدها حتى لم يبقَ للشكّ سبيلاً . قال في الجلسة الثالثة والفصل الثالث (١): « تعتقد الكنيسة انهُ (اي الايمان) فضيلة فائقة الطبيعة تحملنا بإلهام النعمة الالهيَّة ومساعدتها على اعتقاد صحّة ما اوحاه الله اعتقاداً مبنياً لا على حقيقة الامر الموحى بهِ عينهِ ووضوحها بواسطة نور العقل الطبيعي ولكن على صدق الموحي نفسهِ اعني الله الذي لا يَغُشّ ولا يُغَشّ » . فهذا التعريف وان كان يحدُّ صريحاً « فضيلة » الايمان او « ملكة » الايمان التي تكلمنا عنها في بادئ مقالتنا الَّا انهُ يتضمَّن حدّ « فعل » الايمان ايضاً اذ الملكة لا تُعرف الَّا بالافعال المختصَّة بها وعليهِ فانَّ فعل الايمان بموجب تعليم الكنيسة الشرعي هو فعل فائق الطبيعة اي صادر عن نعمة خصوصيَّة تفوق قوى الطبيعة المخلوقة كلها . فعل الذهن لا

١) طالع مجموع التحديدات والقوانين لدنتسنغر (Denzinger) العدد ١٦٣٨

فعل الارادة او الحسّ كما يتوهّم كثيرون من اخصامنا (١ فعل قبول للقضيّة الموحاة واقرار بصحّتها وارتياح لحقيقتها ناتج لا عن وضوح القضيّة بنفسها بل من صدق الشاهد بصحّتها وهو الحقّ سبحانهُ وتعالى

وزيادةً في ايضاح وصف هذا الفعل نذكّر القارئ انّ اليقين بصحّة قضيّة من القضايا على نوعين فاما ان يرى الانسان بعين بصيرته النسبة الموجودة بين المحمول والموضوع واما ان لا يراها بنفسهِ بل يستند الى قول من رآها ممّن يثق بعلمهم وصدقهم فالمعرفة الحاصلة بالطريقة الاولى هي معرفة ذاتيّة او داخليّة لأنها معرفة ذات الشيْ وخواصّهِ وتسمّى في اصطلاح المتأخرين من المنطقيين « علماً ». والمعرفة الحاصلة بالطريقة الثانية هي معرفة « خارجيّة » لانها معرفة الشيْ من الخارج وتسمّى « تصديقاً » (٢ فالتصديق اذاً معرفة مبنيّة على شهادة الغير وهاك مثالاً على ذلك :

تعرف حقّ المعرفة انّ نور الشمس يقطع في الثانية ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر فمعرفتك هذه وان كانت يقيناً فما هي الّا « تصديقاً » لانك لم تقس بذاتك سرعة انتشار النور حتى تتّضح لك الحقيقة بنفسها وانّما وثقت باقوال العلماء الذين قاسوها . اما العلماء الذين اجروا كل الاختبارات وعملوا كل الاعمال الحسابيّة اللازمة فمعرفتهم " علم » وقس على ذلك

وممّا يجب التنبيه اليهِ من الآن ان « التصديق » ليس دون « العلم » يقيناً فاني مثلاً لم ارَ رومة عياناً ولكني على يقين من وجودها كمن زارها والسبب في ذلك انّ التصديق نتيجة لازمة بقياس يمكن تحريره كما يأتي : من روى شيئاً عن علم وصدقٍ تام فكلامهُ حقّ لا ريب فيهِ . ولكنّ فلاناً روى كذا وكذا عن علم وصدق تامّ فكلامهُ اذن حقّ لا ريب فيهِ . فالكبرى لا شكّ في صحّتها واما الصغرى فيجب ان يتحقّقها الانسان كلما اراد التصديق فان ثبتت صحّ القياس ولزمت النتيجة واتضح الحقّ فأنتج اليقين

---

١) وان قبل شاعرة الايمان او عاطفة الايمان فذلك توسّع لانّ للارادة عملاً سابقاً . فتبصر

٢) اعلم ان التصديق في اصطلاح المتقدمين هو غير ذلك فهو المعرفة التامة الحاصلة بالقياس وما شابههُ . ويقابلهُ التصور كما ورد في المشرق (٧ : ٨١٢) وانما نستعمل لهذه اللفظة المعنى المذكور في المتن لاننا لا نجد كلمة ارضح واصرح منها لتعريف الايمان وترجمة لفظة (croyance)

فاذا كانت معارفنا اما علماً واما تصديقاً فيا تُرى من اي نوع تكون المعرفة المختصة بفعل الايمان ؟ الجواب على ذلك قريب بعد الذي قلناه . انَّ الايمان من قبيل التصديق لا من قبيل العلم لانَّ المؤمن يعتقد الحقيقة لا لانهُ رآها بل لانهُ يثق بالذي علمها فاخبره عنها وهو الله عزَّ وجلَّ . فالايمان اذاً « تصديق » يقيني لكلام الله المنزل

*

والآن نسأل المناقش : اين المناقضة بين نزعات العقل الشريفة وفعل الايمان ؟ اين يجدها ؟ هل في كون فعل الايمان « تصديقاً » ؟ لا اظنُّ عاقلاً يسلّم بهذا لانَّ التصديق كما رأينا مطابق للعقل كل المطابقة اللهمَّ اذا استوفى شروطهُ . هو احد الطريقين المؤديين الى الحقيقة بل هو الاوفر سابقةً لانَّ السواد الاعظم من الناس لم يحصلوا ما حصلوا من المعارف الَّا بالسمع والتصديق ولا استثني منهم العلماء فانهم في حاجة الى التصديق كباقي البشر فالكيماوي يصدّق كلام الفلكي والفلكي كلام الكيماوي وكلاهما يقنع بقول الرياضي . فلا تكاد تجد من يبني علمهُ على غير التصديق . وذلك حتى في العلوم « الاختباريَّة » اذ ما من عالم يتمكَّن من اجراء كل الاختبارات التي يستنتج منها النواميس الطبيعيَّة فيلزمهُ تصديق اقرانهِ في صحَّة البعض منها

فاذا كانت هذه حالة العلم من التصديق فما قولك عن المعارف التي نحتاج اليها في معيشتنا وتصرُّفنا مع الناس ؟ يصدّق الولد والديهِ والتلميذ معلميهِ والَّا لما امكن تدبير العائلة ولا تهذيب الولد . ويصدّق العليل طبيبهُ والمسافر ربَّان المركب الذي يحملهُ والَّا لما استطاع الطبيب ان يشفي المريض ولا رئيس المركب ان يهدي المسافرين ويصدّق الخليل خليلهُ والجار جارهُ والَّا لتعذَّرت الالفة وتلفت الهيئة الاجتماعيَّة . وما قولك عن التجارة ؟ فانَّ محورها الامانة واصل الامانة التصديق . ولا حاجة الى الاطالة فقد اتضح لك انَّ التصديق هو اساس كل معلوماتنا . فاذا كان التصديق من طبع الانسان حتى انهُ لا يستطيع ان يبدي حراكاً لو اراد نبذهُ والتمسك بالعلم فقط فمن يجسر على القول انَّ الايمان المسيحي بحيث هو تصديق يخالف طبع العقل ؟

وهل يخالفهُ من حيث هو تصديق كلام الله عزَّ وجلَّ ؟ لا اظنّ انَّ انساناً بلغت بهِ الحماقة الى هذه الدرجة من النكران لانهُ اذا كان الرجل الصادق حريًّا بان يوثق بكلامهِ فما احرى الله بان يُصدَّق وهو الحقّ الجوهري والعلم الغير المتناهي

ولعلَّ الخصم يعترض ويقول: قد فاتك في بيان حقيقة التصديق ان من شروطهِ ان يكون الكلام المصدَّق بهِ قريباً للعقل والَّا امتنع التصديق . فالايمان اذًا مخالف للاصول العقليَّة لانهُ تصديق ما ليس للعقل طاقة بهِ

اجيب انَّ الشرط المنوَّه بهِ ليست من شروط « التصديق » اصلًا والسبب في ذلك ما قلناه من الفرق الجوهري الموجود بينهُ وبين العلم . ان كنت تعتقد حقيقة لوضوح مطابقتها مع حقائق اخرى ثابتة فان اعتقادك علم لا تصديق لان « المصدّق » لا ينظر في جواهر الامور — او على الاقلّ هو في غنًى عن ذلك — انما يحتاج الى اثبات علم الشاهد وصدقهُ فاذا صحَّ هذان الشرطان لزمهُ الاذعان والخضوع

ولئلا يبقى ادنى شكّ في عقل القارئ فليتذكَّر القياس الذي وضعناه لنبيّن موافقة « التصديق » لمبادئ العقل فانَّ من ينظر فيهِ يرَ ان الشرط الذي يخالهُ ضروريًّا ليصحَّ التصديق لا دخل لهُ في المقدَّمتين اصلًا . انَّما النتيجة مبنيَّة فقط على لزوم التصديق لشاهد الصدق اذا تحقَّق وجودهُ

*

وكأنّي بالمعترض يلحّ علينا في اعتراضهِ من وجه آخر فيقول: اسلّم بانَّ التصديق واجب على العاقل وانَّما يلزم فقط اذا استوفى شروطهُ والحال ان الايمان المسيحي تصديق لم يستوفِ شروطهُ فهو اذا فعلُ جاهلٍ لا يدرك ما يفعل بل ينبعث للتصديق كالاعمى . اقول لو صحَّ مدَّعى المعترض لكنَّا اهلًا للملامة ولكن هيهات ان يصحَّ ذلك لانَّ الكنيسة تعلم ان فعل الايمان لا يتمّ الَّا اذا تأكد الانسان اوَّلًا ان الله موجود وانهُ قد اوحى فيجب على المسيحي قبل الايمان ان يضع قياساً على شكل الذي ذكرناه ويثبت مقدّماتهِ بالحجج القاطعة

امَّا كون فعل الايمان يقتضي تلك « المقدّمات » فالشواهد عديدة نخصُّ بالذكر منها اوَّلًا ما جاء في براءة للسيد الذكر بيوس التاسع اتخذها الى البطاركة والاساقفة وسائر الشعب المسيحي في ٩ تشرين الثاني سنة ١٨٤٩ (١ قال فيها : « يجب على العقل البشري لئلا يُخدع ويضلّ في هذا الامر الخطير (اي فعل الايمان) ان يبحث اوَّلًا

١) طالع مجموع التحديدات والقوانين لدنتسنغر العدد ١٤٦٣

بكل اجتهاد عن وقوع الوحي الالهي حتى يتقرّر لديهِ بكل تأكيد ان الله تكلم فيتدم له « عبادة عقليّة » طبقاً لقال الرسول المار حكمة

وهناك ايضاً تقرير المجمع الفاتيكاني وقد ورد بعد تعريف الايمان الذي ذكرناه :

« حتى تكون مع ذلك عبادة ايماننا مطابقة للعقل اراد الله ان يشفع اسعافات الروح القدس الباطنة ببراهين خارجيّة تؤيد صحّة الوحي اعني باعمال الهيّة اخصّها المعجزات والنبوّات . فانّ المعجزات والنبوّات بما انها تظهر جليّاً قدرة الله الغير المحدودة وعلمهُ الغير المتناهي فهي حجج باهرة على صحّة الوحي الالهي وقريبة جداً لعقول الجميع »

ففي هذين النصّين من الايضاح والصراحة ما يكفينا مؤونة الزيادة . وعليه فبموجب التعليم الكنائسي الذي يتحتّم على كل مسيحي ان يعمل بهِ ينبغي ان تكون « عبادة ايماننا عقليّة » و « مطابقة للعقل » ولذلك يجب ضرورة « لئلا نضلّ » عن جادّة الايمان المسيحيّ ان « نبحث عن وقوع الوحي » وان « نتأكده » ثمّ زيادةً للايضاح علّمنا المجمع كيفيّة البحث وطريقة التنقيب عمّا اذا كان الله قد اوحى فاشار الى المعجزات والنبوّات خاصّة فهي الدليل الكافي لبلوغ الغاية

وما هذه الاقوال الّا كصدى لكلام بطرس هامة الرسل : « كونوا مستعدّين دائماً للاحتجاج لكل من يسألكم حجج الرجاء الذي فيكم » (رسالتهُ الاولى ٣ : ١٥ و ١٦) فكيف يكون المسيحيّ مستعداً دائماً على ان يؤيد بالبرهان سبب رجائهِ واملهِ بالحياة الابديّة التي هي مشاهدة الله عياناً على طريقة تفوق قوى الطبيعة ان لم يكن في حالة اليقين من وجود تلك الحياة ؟ وكيف يستطيع ان يتأكد هذه الحقيقة ان لم يكن على يقين بانها موحاة لانّ نور العقل الطبيعي لا يجد سبيلاً الى اثباتها اصلاً

ولا يكفي ان يتوصّل الباحث في صحّة وقوع الوحي قبل الايمان الى قول ظنّي او مرجّح بل ينبغي عليهِ ان يبلغ اليقين كما يتّضح من النصّين المذكورين . وقد حرّم ايضاً البابا انوشنسيوس الحادي عشر القول بهذه القضيّة (دنتسنغر العدد ١٠٣٨) : « ان اذعان العقل في فعل الايمان . . . يقوم على معرفة ظنيّة بوقوع الوحي »

فبعد هذه البيّنات لا يجوز ان يقول المعترض ان فعل الايمان على ما رسمتهُ الكنيسة تصديق غير مستوفٍ شروطهُ . اذاً اعتراض الخصم من هذا الوجه ايضاً ساقط

فعلى ايّ اساس يبني الخصوم زعمهم انّ الايمان يخالف نزعات العقل الشرعيّة ؟ ها انّنا قد بيّنّا ما هو الايمان على قول الكنيسة فعرفنا انهُ تصديق يقيني لكلام الله وانّ لذلك التصديق شروطاً لا بدَّ من وضعها والّا لكان فاسداً. فمن يأبى التسليم معنا انّ فعل الايمان مطابق كل المطابقة لمقتضيات العقل فهو مكابر. وليفهم القارئ انّ كلامنا ليس مع الدهري المنكر وجود الله ولكن مع الذي يعتقد وجود الله ويقيد الايمان بالوحي فلمثل هذا نقول انّ العاقل لا يجوز لهُ ان يدفع مثل هذه الحجّة: «ان كان الله قد اوحى فيجب الاذعان لكلامهِ. والحال انّ الله قد اوحى. فيجب اذاً الاذعان لكلامهِ». على هذا القياس بُني فعل الايمان (١ وهذا اساسهُ. فبعد ان يتأكد

---

١) ولعلَّ المعترض يحتجُّ علينا بانَّ فعل الايمان بحدّ ذاتهِ لا يجوز على العاقل لانهُ مؤسس على المعجزات والمعجزة لا يقدر ان يسلّم العقل بامكانها او على الاقلّ لا يستطيع ان يتأكد وقوعها

فنجيب امّا امكان حدوث المعجزة فقد بيّنهُ المشرق بكلام شافٍ وافٍ (السنة الثالثة ص ٤٨٩ وص ٧٢٥) فلا فائدة في الاعادة. وامّا القول اننا لا نستطيع ان نتأكد وقوعها وهو آخر ملجإ يتحصّن فيهِ الالحاد فهو واهن. لانَّ العقل البشري يتوصّل بلا مراء الى تمييز المعجزة من الحادث الطبيعي مهما قال المنكرون بل هم اوّل من يعترفون بذلك تشهد عليهم افعالهم وهي احقّ بان تصدَّق من اقوالهم فاذا قرأوا مثلاً في الاسفار المنزلة اخبار المعجزات نبذوها كانها من الدخيل ولا يأتون بسبب غير انها معجزة. فيميّزون اذاً بين المعجزة وما تقوى عليهِ الطبيعة فانطقهم الحقّ على مكابرتهم ولا شكّ في ذلك عند ذوي النهى لانَّ الكل علماء كانوا ام اميين يدركون بديهيّاً ان نَشْر الميت الذي انتن بكلمة صدرت من فم انسان ليس مما تقوى عليهِ طبيعة الانسان ولا طبيعة الميت ولا العوامل التي تحدق بها وتؤثر فيها. والكل يشهدون بان معرفة المستقبل في امور لا تتعلق الّا بحريّة الانسان لا يقدر عليها مخلوق. وقس عليهِ

بل ازيد واقول انَّ من انكر امكان الوصول الى معرفة المعجزة فقد دكَّ دعائم العلوم الطبيعيّة ونفى ثبوت النواميس الطبيعيّة وهي الحجّة الوحيدة التي يقيمون عليها انكارهم لوقوع المعجزات لانهُ كيف يمكننا اثبات قضيّة من القضايا الطبيعيّة ان كنّا نحتج انّنا نجهل العوامل الطارئة على الحوادث كيف يجوز لك ان تضع سنناً واهنة ثابتة للاثقال الواقعة في الفضاء ان كنت تفترض بان ثمّة قوى طبيعيّة خفيّة لا تعرفها تعمل في سقوط تلك الاثقال فتغير مجراها حتى يصير عكس ما هي عليهِ عادةً ؟

ثم لا نكير ان قوى الانسان والحيوان محدودة فانّنا نعلم حقَّ العلم الحدّ الاعلى الذي لا نستطيع ان نتجاوزهُ وان كنّا لا نقدر على تعيينهِ تعييناً محكماً فمن ذا الذي يقول مثلاً انهُ يجهل ان كانت قوة الطفل تضاهي قوّة من بلغ اشدَّهُ؟ او من ذا الذي يقول ان في قدرة الانسان ان يجذ

الانسان صحّة المقدّمتين حينئذٍ اكراماً لله عزّ وجلّ الذي هو الحقّ عينهُ يطأطئ رأسهُ بالخضوع التام ويعتقد صحّة الكلام المنزّل اعتقاداً محكماً لانّ اساسهُ صدق الله الغير المتناهي . ولا يمكن المسيحي ان يرضي الله بدون هذا الايمان لانهُ قيل « بغير الايمان لا يستطيع احد ان يرضي الله » (الرسالة العبرانيين ١١ : ٦) « وانهُ قيام الموجودات فينا وبرهان الغير المنظورات » (عبر ١١ : ١) فهو اشرف الافعال الصادرة عن الذهن لانهُ به يرتقي الانسان الى مدارك لا طاقة لهُ اليها بقواه الطبيعيّة . وبهِ تتّحد النفس بالعلم الجوهري الغير المتناهي فتشاركهُ بعض صفاتهِ على قدر ما يستطيع المخلوق ان يشارك الله . هو النور الالهي الذي تستنير النفس باشعّتهِ في هذه الدنيا الدنيّة حتى اذا ارتاحت اليهِ ومشت على ضيائهِ وصلت الى مصدر ذاك النور فاشرق عليها بهاء الله تبارك وتعالى فتشاهده عياناً مدى الابديّة . هذا هو الايمان فليحكم العاقل ولينصف (١

ركن بناء متين بدفعة من يدهِ ؟ لعمر الحقّ من تبصّر في زعم الملحدين هذا اتّضح لهُ انهُ ساقط لا يثبت على الفحص المتره عن الغرضيّة

فيجوز لنا اذاً ان نقول بكل يقين اننّا قادرون على معرفة المعجزات وتمييزها . هذا اذا كنّا شاهدناها عياناً واما اذا جرت في مكان او عصر لم نوجد فيهِ نظريّة وصولنا اليهِ هي الطريقة التاريخيّة فمن انكر امكان ذلك نفى علم التاريخ . واما امكان الوحي ومطابقتهُ للعقل ومناسبتهُ لحالة الانسان فذلك مما اثبتهُ حضرة الاب معلوف سابقاً (راجع المشرق ٢ : ١٠٩ و ١٩٨)

١) واعلم اننّا لم نأتِ بالبراهين المؤيدة لصحّة الوحي وقد اغفلنا هذا البحث عمداً لانهُ خارج عن موضوع مقالتنا . اذ الغرض منها تفنيد زعم اخصامنا حين يقولون ان « حقيقة فعل الايمان بحدّ ذاتها » مغايرة « لطبيعة » العقل البشري فبحثنا عن اصول فعل الايمان كما تعلّمهُ الكنيسة ابناءها وقابلناها مع الاصول العقليّة فوجدناها مناسبة لما كل المناسبة فلم نخرج في كل ذلك من حيز الحقائق والطبائع . واما البراهين التاريخيّة والفلسفيّة التي تثبت وجود الوحي « بالفعل » فهذا بحث اخر لا يلزمنا الآن